

السبت 17-07-2010

1051- "قلم" يتجدد، وينتصر!!

### تعتة الدستور

انتهت تعتة الأسبوع الماضي بإعلان فشلي أن أكف عن الكتابة، وأن أكتفى - مثلما نصحتُ غيري- بوضع علامة "صح" على واحد من ستين عنوانا قدمتهم في ثلاث قوائم، وقد جاءتني استفسارات عن مقطع من شعري بالعامية استشهدت به مرارا وهو يصور فشلي هذا، وطلب مني بعض الأصدقاء مزيدا من الإيضاح، وأبدأ بأن أعيد هذا المقطع هكذا:

كل القلم ما اتقصف يطلع لهُ سن جديد،  
ويشُ تعمل الكلمَّة يابا، والقدرُ مواعيد؟  
خلق القلم مالعَدَمُ أوراق، و.. مَلاها،  
وانْ كان عاجبني وَجِبْ،  
ولا أتنى بعيد.

تذكرت أن هذه ليست أول مرة أحاور فيها قلمي، وأقامه وأنا أحاول أن أثنيه عن شطحه، فقررت أن أخصم هذه التعتة لجمع ما يحضرن من حوارى مع قلمي الشقى خلال أربعين عاما، لعله يتكامل فيما يفيد في الرد على بعض هذه التساؤلات

حين خطر لي أن أكتب لعمامة الناس بالعامية المصرية أحكى عن خبرتى مع مرضاى في المهم، وفي حرمانهم، وفي شقائهم، وفي بطولتهم المجهضة، تحفز القلم واستعد، فالتقطت منه أنه ينوى فتح النار ضاربا عرض الحائط بأية وصاية مني، فحاولت أن أثنيه خوفا من رأى زملائى ورفضهم، حاولت أن أراجع، وفشلت، هكذا:

قلت انّا مش قد قَلَمِي.

قلت انا يكفيني أَلَمِي.

قلت أنا ما لي، أنا استرزقُ واعيش،

والهرب في الأشتة زبنة مافيش،  
 والمراكز، والجوايز، والندى ما بينتهيئش  
 قلت اخبئي نفسي جوا كما كتاب.  
 قلت أشغبل روى بالقول والحساب.  
 والمقالات، والمجالس  
 والجماعه مخلصينلك كل حاجة. أيوه خالص.  
 بس برضك وانت "جالس".

.....

**القلم صحصح ونط الحرف منه لؤحه بيخرق عينيا،  
 وابتدا قلمي يجرحني أنا:**

قالى بالنمة:

لو كنت صحیح بنی آدم،، بیتجس،  
 والناس قدامك في ألفهم، وف فرحتهم،  
 وف كسرتهم، وف ميلة البخت،  
 مش ترسمهم للناس؟

الناس التانيه؟

إلى مش قاذرة تقول: "آه" عند الدكتور.  
 أصل "الآه" المودة غالية،

لازم بالحجز،

لازم بالدور.

مش يمكن ناسنا الغلبانه إلى لسه "ما ضابهاش".  
 الدور؛

ينتبهوا قبل الدخيرة - قبل ما يغرقوا في الطين.  
 ولأ الشوبه خاتتعلل لو ذعت السر؟  
 ولأ انت جبان؟

.....

بصراحة انا خفت.

**خفت من القلم الطايح في الكل كليله.**

حيقولوا إيه الرملا المشتتية الغلطة؟

حيقولوا إيه العلم المكن

(بِسْكَونِ غَالِكَاْفٍ .. إِوعْكَ تَعْلَطُ)

على عالم أو متعالم بيقول كما راجل الشارع

.....

القلم اهزف ايدى،

طلّغ لى لسانه،

ما يقولوا!!

حد يقدر يحرم الطير من عُناة؟!؟

من وليف العش، من حضن الحياة؟!؟

تطلع الكلمه كما ربى خلقها،

تطلع الكلمه بوعبّلها،

تبقي هى الكلمه أضل الكون تصحى الميئين.

والخايف يبقى يوسع،

أحسن يطرطش،

أو تيجى ف عينه شرارة،

أو لا سمح الله

يكشف انه بيحس.

وكانت العامية هي الأجهز للقلم ليسارع بتصوير ما ترددت في تشكيله عن الحس والألم ولغة العيون، والحق تعالى، فاستعجل قلمي ورفض الانتظار حتى أترجم ما وصلني إلى الفصحى، حبيبتى الأولى، فاضطرت إلى تقديم اعتذارى لحبيبتى الفصحى، بالعامية:

أصل الحُدوتة المرادى كان كُلهُا جس،

والجس طلّغ لى بالعامى بالبلى الجلو.

والقلم استعجل.

ما حِقش يترجم، لتفتوه أيها همسة،

أو لمسه، أو فتقوتة جس

معلشى النوبه.

المرادى سماح

واهى لشه حبيبتى..،

حتى لو ضرتها غازية،

.. بتدقُّ صَاحَاتٍ.....

وهكذا نجح قلمي في غواية العامية من ورائي بعيدا عن وصاية النحو والصرف، فتستجيب له الغازية اللعوب، وتسجل "كل فتفوتة حس" وملتئى منهم أو مني، لكن تظل الفصحى حبيبتى طول الوقت، ويمتد الحوار مع قلمي وطلقتة "الكلمة" إلى شعري بالفصحى، وأنا أحاول الهرب منها في قصيدتي: "يا ليت شعري، لست شاعرا!!" التي ختمتها مستسلما حين أصبح هو الذي يقودني، ولست أنا الذي أسخره لكتابي، خاصة في الشعر:

تدقُّ بابي الكلمة،..

أصدّها....

تغافل الوعى القديم.....، أنتفضُ.

أحاولُ الهربُ،

تلحقننى،

أكونّها، فأنسلخُ.

أمضى أغافلُ المعاجم الجحافلُ،

بين المخاض والنحيبُ،

أطرحنى:

بين الضياع والرؤى

بين النبي والعدم.

أقولنى جديداً،

فتولّد القصيدةُ.

1983 /9/14